الباب الثالث

التسامح والإخاء الإنساني

الباب الثالث

التســـامح والإخـــاء الإنساني

القناعة والرضا تدعو إلى التمسك بالتسامح والإخاء الإنساني

الرضا والقناعة بما قسمه الله، من أفضل النعم التي إن تمسك بها الإنسان شعر بالراحة والسعادة في الحياة الدنيا، وتكون له البشرى بحسن العاقبة – إن شاء الله – في الآخرة، وقد مدح الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ووصفهم بأنهم مؤمنون وجزاؤهم الجنة ورضى الله عنهم ورضوا عنه، وذلك في قوله تعالى في سورة البينة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾.

والرضا هو سرور القلب بما يقضي به الله من خير أو غير ذلك مما قد يبدو فيه الضرر بالعبد، وقيل: الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان، وقيل: الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا، وقيل: استقبال الأحكام بالفرح. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام، وقيل: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنه اختار له الأفضل وهو ترك السخط.[1]

والرضا نوعان:[2]

أحدهما: الرضا بفعل ما أُمر به وترك ما نهى عنه، ويتناول ما أباحه الله من غير تعد محظور وهذا الرضا واجب، ولهذا ذم من تركه بقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩ ﴾

---

(١) بتصرف من: موسوعة نضرة النعيم جـ٦ صـ ٢١٠٣، ٢١٠٤.

(٢) المرجع السابق بتصرف صـ ٢١٠٤ – الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٦٨١- ٦٨٣).

والنوع الثاني: الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل. فهذا رضا مستحب في أحد قولي العلماء. وليس بواجب، وقد قيل: إنه واجب، والصحيح أن الواجب هو الصبر.

وقد روى عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال:

(إن استطعت أن تُعَمَّ بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا)[1].

والقناعة: الرضا بالقسم، فالقنوع قد يكون بمعنى الرضا، لأن القانع يرضى بما يُعطَى قل أو كثر ويقبله ولا يرده فيكون معنى الكلمتين راجعا إلى الرضا.[2]

فالفقير مع الرضا والقناعة، يشعر بالسعادة والراحة، راضيا بما منحه الله من نعم أخرى كالصحة والأولاد والأسرة المترابطة المتفاهمة والبركة في المال والأولاد والوقت إلى غير ذلك من النعم التي أنعم الله بها عليه، في حين أن هذه السعادة قد لا يشعر بها شخص آخر أنعم الله عليه بمال وفير وبكثير من عناصر الراحة والسعادة ولكنه حرم نفسه من الاحساس بهذه السعادة، نتيجة تطلعه إلى المزيد، وتشوقه إلى ما في يد الغير من مال أو سكن أو سيارة أو وظيفة أو غير ذلك مما أفاض الله عليه.

ولا ينهى الإسلام عن التطلع إلى الثراء والعمل على التمتع بزينة الحياة الدنيا، مادامت الوسيلة إلى ذلك مشروعة ومن الحلال وبدون التعدي على أموال وحقوق الغير، ويؤكد ذلك أن هناك من الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا على درجة كبيرة من الثراء نتيجة عملهم بالتجارة، وكانوا يكتفون بالربح القليل فبارك الله فيهم وفي أموالهم، وكان منهم من يتصدق بالقافلة كلها على الفقراء، ابتغاء حسن الجزاء من الله ﷻ.

فالقناعة والرضا تدعو الإنسان إلى حب الآخرين حتى لو حباهم الله بالمال والجاه وأفاض عليهم من نعمه الظاهرة، وألا ينظر إليهم نظرة حسد أو بغضاء ولا يتمنى لهم الحرمان من نعم الله التي أفاء الله عليهم بها، واثقاً أن الله ﷻ قسم الأرزاق وأعطى كل عبد ما يناسبه لحكمة عليا، ومن الواجب الرضا بقضاء الله وبما قسمه الله له، وعدم الحقد أو الحسد لمن آتاه الله من خيراته، إنما يتأمل ما حباه الله من رزق ونِعَم، ويحمد الله على ذلك، ويدعوه بما يشاء من خيري الدنيا والآخرة، فخزائنه ملأى لا تنفد، فذلك أجدى له من تمني زوال نعمة الغير، لأن ذلك التفكير

---

(١) نضرة النعيم / ٢١٠٤ جـ٦

(٢) مختار الصحاح صـ٥٥٣.

اعتراض على عطاء الله، وكسر لروابط الأخوة بين أفراد المجتمع.

القصاص والعفو يحافظ على التسامح والإخاء الإنساني:

قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ سورة البقرة/١٧٨، ١٧٩

- ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ.. ١٩٤﴾ سورة البقرة/١٩٤

فقد شرع الله القصاص من القاتل، لكي يشفي غيظ أهل القتيل وتنتهي الخصومة بين أهل القاتل وأهل القتيل، وتسود العلاقة الطيبة بينهما، بل إنه أباح لأهل القتيل التنازل عن القصاص، في سبيل أخذ الدية من القاتل وسمى الصلة التي بينهما بـــ "الأخوة" تشجيعاً لهم على ذلك، وأمر القاتل وأهله أن يؤدوا الدية ليسود المعروف والإحسان بين العائلتين، وحذر الله ﷻ كلا الطرفين من الاعتداء على الطرف الآخر بعد ذلك، حتى لا يناله من الله ﷻ عذاب أليم.

وسبق أن رأينا أن الرسول ﷺ عفا عن المرأة اليهودية التي أهدته شاه مسمومة، رغم أنها كانت تريد قتله، ولكن الله نجاه من هذه المكيدة، كما أنه ﷺ كان ينصح غالبا أهل القتيل بأخذ الدية بدلا من القصاص وبخاصة إذا كان القتل عن طريق الخطأ وليس عمدا، فعن أبي هريرة قال: "قتل رجل على عهد رسول الله ﷺ فَرُفع ذلك إلى النبي ﷺ فدفعه إلى ولي المقتول. فقال القاتل: يا رسول الله ما أردت قتله. فقال رسول الله ﷺ للولي " أما إنه إن كان صادقا ثم قتلته، دخلت النار " قال: فخلى سبيله "[1].

وعن أنس بن مالك قال: أتى رجل بقاتل وليه إلى رسول الله ﷺ. فقال النبي ﷺ: " اعف " فأبى. فقال: "

(١) سنن ابن ماجه – كتاب الديات – باب العفو عن القاتل ج ٢ – صـ٨٩٧.

خذ أرشك [1] " فأبى. قال: "اذهب فاقتله فإنك مثله " قال: فلُحق به. فقيل له: إن رسول الله ﷺ قد قال: " اقتله فإنك مثله " فخلى سبيله [2].

وعن أنس بن مالك قال: ما رفع إلى رسول الله ﷺ شئ فيه القصاص، إلا أمر فيه بالعفو [3].

والرسول ﷺ كان يحرض على العفو، خصوصا إذا كان القصاص بين قوم بينهم في الأصل مودة وصلة قد قطعها الجاني، فيستمر القطع بالقصاص، ولكن مع ذلك لوحظ أن النبي ﷺ لم يثبت أن حرض على العفو في بعض الجناة الذين يستحقون القصاص كاليهودي الذى قتل جارية بوضع رأسها بين حجرين، ولعله ﷺ لاحظ أنه إذا كان الجاني ممن تتحرك في قلوبهم عوامل الحقد والحسد والرغبة في الإفساد، والعفو لا يزيده إلا عتوا وإمعانا في الإفساد فإنه لا يكون للعفو موضع، بل يكون الحسم للفساد بالقصاص، والزجر والحياة الفاضلة الآمنة التي بينها ﷻ [4] في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ... ﴿١٧٩﴾﴾ سورة البقرة/١٧٩.

وما شرعه الله ﷻ ينهي عما كانت القبائل في الجاهلية تفعله إذا قتل لهم قتيل، فكانت تحاول الانتقام له بقتل أكبر عدد ممكن من أفراد القبيلة الأخرى، أو على الأقل قتل شخص آخر أشرف من المقتول، حتى تشفي غيظها، وكان من السائد إذا قتل قتيل لإحدى القبائل ذات المكانة والشرف، أنهم كانوا يقولون:

(لنقتلن بالعبد منا الحر منهم، وبالمرأة منا الرجل منهم، وبالرجل منا الرجلين منهم، كما كانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم، وربما زادوا على ذلك، وقد روي أن واحداً قتل إنساناً من الأشراف، فاجتمع أقارب القاتل عند والد المقتول، وقالوا: ماذا تريد؟ فقال: إحدى ثلاث. قالوا: وما هي؟ قال: إما تحيون ولدي، أو تملأون داري من نجوم السماء، أو تدفعون إلى جملة قومكم حتى أقتلهم، ثم لا أرى أني أخذت عوضاً).

وهذه العادات الجاهلية، تؤدي إلى نشوب المعارك والخلافات بين عائلات القاتل والمقتول في سلسلة متوالية من الصراعات والخلافات، مما يقضي على روابط الأخوة وحسن الجوار.

---

(١) أي: الدية.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق – باب العفو في القصاص ج٢ – صـ٨٩٨.

(٤) بتصرف من: العقوبة في الفقه الإسلامي – محمد أبو زهرة صـ٥٣.

أما تسامح أهل القتيل وبخاصة إذا كان القتل خطأ، أو كان نتيجة مشاجرة كان يحتمل أن يقع فيها ضحايا من الطرفين، نتيجة الانفعال والتهور الطارئ، فإن هذا التسامح يقضي على الفتنة في مهدها، وقبول الدية، يُنهي هذا النزاع، ويعطي الفرصة لكل طرف بممارسة أمور حياته الطبيعية بسلام واجتناب التخطيط للانتقام من القاتل أو أسرته، والدخول في دائرة مفرغة من الصراعات والخلافات.

لذلك حث الإسلام أهل القتيل على العفو ورغبهم فيه، وجعل العفو من شيم المتقين، وحث القاتل وأهله على أداء الدية عن طيب خاطر من غير مماطلة، فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ سورة البقرة/١٧٨.

كما ورد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال[1] : " ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله "، وفي رواية أخرى: " ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً ".

فعقوبة القصاص من القاتل، تردع البعض من ارتكاب الجريمة، فتحفظ بذلك حياة من سيُعتدى عليه، وتحفظ حياة القاتل الذي سيُقتص منه، كما أنها تمنع الشقاق والخلاف الذي يحدث بين أهل القاتل وأهل القتيل وبذلك تحافظ على العلاقات الطيبة والأخوة بينهما.

وكذلك العفو من أهل القتيل الذي أمرت به الشريعة الإسلامية، متمثلة في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ التي سبق أن ذكرناها، يؤدي إلى انتهاء النزاع والخصام بين كل من عائلة القاتل والمقتول، وينهي مسلسل الأخذ بالثأر من القاتل أو أحد أفراد أسرته، وبخاصة إذا تجاوز أهل القتيل وزادوا من عدد المأخوذ بالثأر منهم، مما يتسبب في تفاقم الخلافات ووصول محاولة إنهاء هذه الخلافات، إلى حركة مفرغة يصعب الخروج منها.

فالعفو عن القاتل وأخذ الدية، يعيد أواصر الإخاء والمحبة بين أفراد المجتمع، ويجعلهم يعيشون في سلام ومحبة، وينهي حالة التوتر والخوف وترقب الشر من الطرف الآخر.

الإيمان يدعو إلى التسامح والإخـــاء الإنساني:

تأمر الشريعة الإسلامية كافة المسلمين، أن يعيشوا في سلام مع نفوسهم ومع جيرانهم ومع أقربائهم، ومع كل

(١) فهرس ابن خزيمة – كتاب الزكاة – باب ذكر نماء المال بالصدقة (٢٤٣٨)، فهرس مسند أبي يعلى – الجزء الثاني عن مسند عبد الرحمن بن عوف (٨٤٩).

المتعاملين معهم في بلادهم وفي جميع أنحاء المعمورة، وقد تجلى ذلك بوضوح في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي تأمر بكثير من التصرفات الطيبة التي يجب أن يتحلى بها المسلم ومن ذلك:

- ذِكْر الله باسمه "السلام" بعد الصلاة ومن ذلك " أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال: (استغفر الله " ثلاثا "، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام)."(١)
- إفشاء السلام بين الناس لقوله ﷺ: (إن السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه بينكم)."(٢)
- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم "."(٣)

باعتبار أن إفشاء السلام سُـــنَّة طيبة أمر بها الرسول ﷺ على من نعرف ومن لا نعرف، والمداومة عليها يزيد الألفة والمودة والمحبة والإخاء بين الناس.

فإلقاء السلام يكون لكل من يلقاه الشخص في الطريق أو عند الدخول عليه في مكان عمله أو مسكنه وسواء أكان معروفا له أم غير معروف، وأيا كانت جنسيته أو ديانته، وبخاصة أن صيغة التحية في السلام، تحمل معان طيبة تتضمن السلام والرحمة والبركة، فإفشاء السلام والتحية بين الملتقين يجلب المودة، وينفي الحقد والضغينة والبغضاء.

فتحية السلام في الإسلام هي: " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته "، وقد وردت أيضا في إنجيل لوقا تحية " السلام عليكم "، فبعد أن ورد بالإنجيل ظهور السيد المسيح لبعض الناس واختفاؤه بعد ذلك ورد النص التالي: "وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام عليكم ".(٤)

وفي موضع آخر قال السيد المسيح لامرأة كانت مريضة وتم شفاؤها: "يا ابنة، إيمانك قد شفاك، اذهبي بسلام".(٥)

---

(١) رواه مسلم جـ٣ صـ٢٠٧٨.

(٢) رواه مسلم كتاب المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة.

(٣) رواه مسلم.

(٤) صـ١٥٨.

(٥) صـ٥٦.

وفي موضع آخر، يتضمن بعض الوصايا:[1]

" وأي بيت دخلتموه فقولوا أولا سلام لهذا البيت ".

ويجب الاقتداء بأسماء الله تعالى التي تدل على الكمال كالسلام والكريم والرحمن والرحيم والحكيم والتواب والبر والعفو، ولله ﷻ أسماء وصفات عديدة تسمو على الحصر، ورد بعضها في القرآن الكريم وورد البعض الآخر في الأحاديث النبوية الشريفة، أو علمها سبحانه أحداً من خلقه، أو استأثر بها في علم الغيب عنده، ومن هذه الأسماء التي وردت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة، اسم " السلام " ﷻ، وهو اسم شريف له معان طيبة يحتاجها الإنسان في حياته، فالسلام حالة من الأمن والأمان يطمع الإنسان أن يعيش في كنفها دائما، ففيها الراحة والسلام له ولكل من يتعامل معه.

والاقتداء بـــــــــــــ "السلام" ﷻ يقتضي أن يملأ المسلم قلبه بالسلام، وينزع من نفسه كل الصفات السيئة التي تسيء إليه وإلى المتعاملين معه.

فالله ﷻ " السلام " ﷻ، ينشر السلام في قلوب عباده، ويدعو إلى نشر السلام والطمأنينة بين العباد، ويتوعد من يعثون في الأرض فساداً بالعقاب الشديد.

فما من مخلوق إلا ويأمل في أن يعيش دائما آمنا من المخاوف والمهالك، فالحياة مليئة بالأخطار التي من الممكن أن تأتي من أي جانب؛ من السماء أو من الأرض؛ إما بسبب عوامل طبيعية كالأعاصير أو الفيضانات أو الصواعق أو الزلازل أو غير ذلك من الحشرات أو الميكروبات التي لا ترى بالعين المجردة ولكنها قد تسبب المرض أو الهلاك للإنسان.

والله.. السلام.. هو وحده القادر على تيسير سبل النجاة من جميع المهالك والأخطار، بل إنه هو وحده الملاذ للإنسان إذا تعرض لخطر أو أضرار في ماله أو صحته، فمن غيره يمنح العافية والسلامة للمريض بعد أن تطحنه الأمراض والعلل، ومن غيره الذي ينشر ربوع السلام على المتخاصمين، بعد أن تستفحل المنازعات وتتعقد العلاقات، ومن غيره الذي ينهي الحروب والمنازعات بين الأشخاص أو الدول، بعد أن يتمسك كل طرف برأيه وتسيل الدماء ويسقط المصابون والقتلى.

---

(١) صـــ٦٨.

ويعلمنا رسول الله ﷺ أن نقول كلما أوينا إلى مضاجعنا، أو استوينا في مكان ما أن نقول " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " حتى يحفظنا الله من شر كل ما قد يؤذينا من الحشرات أو من الإنس أو الجن.

وعلينا أن نقتدي بالله السلام ﷻ لتوفير الأمن والأمان للغير، فلا نكون نحن مصدراً للأذى لهم، بل نحاول بكل أخوة أن ندفع عنهم أي ضرر يتعرضون له وأن نتسامح معهم عما قد يصدر منهم، وأن نلتمس لهم العذر، فالعفو أقرب للتقوى كما أخبرنا الله ﷻ في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ.. ﴿٢٣٧﴾﴾ سورة البقرة/٢٣٧

والإنسان يجب أن يتخذ السلام منهجه وطريقه في الحياة، السلام مع نفسه ومع غيره فيسلم الناس من لسانه ويده، ومن مظاهر مسالمته للناس معاملتهم جميعا بمحبة وإخاء وتسامح، فلا يمد يده إلى الغير بعدوان بل بالخير والبر والإحسان، وأن يحيا دائما بقلب سليم عامر بالإيمان، فياض بالتوحيد والإخاء والتسامح والسلام، فلا نجاة إلا لمن أتى الله بقلب سليم.

الكلمة الطيبة.. تؤدي إلى التسامح والإخـــاء الإنساني

التخاطب بين الناس، ضرورة للتفاهم بينهم، وهو من حاجات الإنسان وفقا لفطرته الإنسانية، التي تدعوه إلى التكلم مع الغير للمؤانسة، والتعاون لتحقيق الاحتياجات المشتركة، التي تيسر سبل المعيشة لكل فرد من أفراد المجتمع.

وأسلوب كل إنسان يختلف عن غيره من الناس، وفقا لطريقة تفكيره ومدى انتظامها ومنطقيتها، بل إن الشخص قد يختلف أسلوبه — من وقت لآخر — في الكلام، وفقا لمدى راحته النفسية، وصحته البدنية، ومدى إحساسه بالراحة أو التعب أو الشعور بعوامل خارجية طيبة أو سيئة تؤثر في إحساسه الداخلي، وسلوكه الخارجي مع الغير.

والإنسان اجتماعي بطبعه، فهو يحب أن يعيش في جماعة، ليأنس بها وتأنس به، ويتعاونان معا، لتوفير احتياجات كل منهما.

لذلك فمن الضروري أن تسود الكلمة الطيبة بين الناس حتى تتوثق روابط الإخاء الإنساني بينهم، وبانتشار التسامح تنتشر العلاقات الطيبة، وتزول العداوات والخلافات.

والناس في حاجة ماسة إلى قدوة طيبة، وأوامر إلهية تدعوهم إلى الكلمة الطيبة، ليكون سلوكهم عن اقتناع

شخصي، لا مجرد تقليد أعمى مجرد من الأسباب المنطقية أو الخُلُقية.

وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ بها العديد من النصوص التي تدعو إلى الخلق الطيب، وفضائل الكلمة الطيبة ودورها في استمرار الأخوة الإنسانية، وتدعو إلى العفو والتسامح مع الغير، لإنهاء الخلافات وتحسين العلاقات بين الأفراد والعائلات، لتنتشر العلاقات الطيبة بين جميع أفراد المجتمع.

وفي أهمية الكلمة الطيبة يقول الله ﷻ في محكم كتابه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة إبراهيم/٢٤-٢٧

فيدعو الله ﷻ أن تكون الكلمة الطيبة هي وسيلة التخاطب والتعامل مع الناس في كلامهم وكتاباتهم، وشبهها بالشجرة الطيبة التي لها أصل ثابت في الأرض ليساعدها على النمو والازدهار وفروعها في السماء لتحمل الثمار والأزهار ويستفيد منها الناس.

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الفرقان/ ٦٣

أي أن الله ﷻ يأمرنا، بالرد الحسن على الجاهلين، وعدم مخاطبتهم بما هم أهل له، بل نخاطبهم بما نحن أهل له؛ أي بالحسنى حتى لا يزداد الشقاق والخلاف بيننا وبينهم، فنقدر جهلهم وخطأهم ولا نرد عليهم بقسوة فيزداد الخلاف بيننا وبينهم، أي يقول العاقل للجاهل كلاما يدفعه برفق ولين، فهكذا كان يفعل الرسول ﷺ مع كل من يسيء إليه في القول أو الفعل، وكان يمنع الصحابة من التعرض لهم أو الإساءة إليهم، وكان هذا التصرف من رسول الله ﷺ كثيراً ما يؤثر في المسيء، ويدعوه أحيانا إلى الاعتذار عما بدر منه وينصرف راضيا.

ويأمر الله ﷻ بالقول الكريم للوالدين وينهى عن أي قول يتضمن عدم احترام أو تأنيب لهما قال تعالى: ﴿

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾) سورة الإسراء / ٢٣، ٢٤

ويأمرنا الله ﷻ بأن نحرص على الكلمة الطيبة وأن تقترن بالعمل الصالح، حتى تتوافق الكلمة مع العمل مما يؤكدها ويجعلها صادقة وتعبر تعبيراً صحيحا عن نية صاحبها وتصبح الكلمة ليست مجرد حروف وأصوات تخرج من فمه، إنما تتحول إلى واقع عملي وتأثير فعلي يشاهده الغير، قال تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ.. ﴿١٠﴾) سورة فاطر/ ١٠

فالكلمة الطيبة وحسن المعاملة، جواز مرور إلى قلوب الغير، وتأكيد للشعور بالأخوة والمحبة، وهما في الوقت نفسه طاعة لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وليست المعاملة الطيبة بهدف تحقيق أي مصلحة من الطرف الآخر؛ بل رجاء الثواب من الله ﷻ، وحسن الجزاء منه في الدنيا والآخرة.

فالعاقل من لا يعمل على إرضاء بعض الناس لجاههم أو سلطانهم، على حساب آخرين مغلوبين على أمرهم، فقد ورد عن الرسول ﷺ:

- " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله أو تذمهم على ما لم يؤتك الله "[1].
- " من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس "[2].

والسنن القولية والفعلية والإقرارية الواردة عن الرسول ﷺ، تؤكد أهمية الكلمة الطيبة والصادقة، وكان كلامه مع الناس خير تطبيق لذلك، فقد كان لا ينطق إلا حقا، ولا يتكلم إلا صدقا، وينهي أصحابه وكافة المسلمين عن

---

(1) رواه البيهقي في الشُعَب (٢٠٧).١)

(2) رواه الترمذي ج٤ – كتاب الزهد (٢٤١٤).٢)

الكذب، بل يؤكد أن الكذب يخرج صاحبه من حظيرة الإيمان، قال ﷺ:[1]

(إن شر الروايا روايا الكذب، ولا يصلح من الكذب جدا ولا هزلا، ولا يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له، إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار وإنه يقال للصادق صدق وبر، ويقال للكاذب كذب وفجر، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، ويكذب حتى يكتب عند الله كذابا)

وكان من عوامل تصديق كثير من كفار قريش للرسول ﷺ أنهم قبل الرسالة لم يعهدوا عليه الكذب، ولذلك فإن الصادق في أقواله وفي أفعاله، ينبئ عن اتزان ومصداقية في تصرفاته ويدعو إلى الثقة به وإمكانية الاعتماد عليه، لأن ظاهره يتوافق مع باطنه.

وعن أبي ذر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:[2] (تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة).

فهذا الحديث وغيره كثير، يأمر المسلم بكثير من الأفعال والأقوال التي تساعد الغير وتؤدي إلى زيادة أواصر المحبة والإخاء بين الناس، وبذلك تزداد الصداقة والأخوة متانة وقوة بينهم.

وعن الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة قال النبي ﷺ

- (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل: الكلمة الحسنة، والكلمة الطيبة)[3].
- (أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما فيما لا يعنيه)[4].

والمتتبع لأوامر الشرع الإسلامي الحنيف يجد أوامره كلها تؤكد على الصدق في التعامل مع الغير في كافة المجالات لتزداد أواصر الأخوة متانة واستدامة؛ ومن ذلك:

(١) رواه الدارمي – كتاب الرقاق – باب في الكذب (٢٧١٥).

(٢) رواه الترمذي – أبواب البر والصلة وما جاء في صنائع المعروف (٢٠٢٢).

(٣) رواه البخاري – باب الطيرة والفأل (٢٢٢٤).

(٤) الجامع الصغير ص٥٣.

(الحث على أداء الشهادة والنهي عن قول الزور وذلك لمساعدة المظلوم وإعطائه حقه وعدم مساعدة الظالم، والنهي عن التلفظ بالطلاق بدون داع حتى لا يتسبب ذلك في انهيار الأسرة وتشريد الأطفال، واعتدال الصوت عند الكلام حتى لا تؤذي الغير، وعدم الكلام في المسجد إلا لضرورة فيما يكون فيه نفع وبدون التشويش على المصلين، والعمل على نصيحة الغير لمساعدته على العمل الصحيح وعدم ارتكابه أي خطأ من الأخطاء، ومخاطبة الناس بوجه حسن واعتبار ذلك من المعروف الذي يثاب عليه المرء، والكلام بين الزوجين بمودة ورحمة ومصارحة كل منهما للآخر بحبه لتزداد الألفة بينهما، والنهي عن الفحش وبذاءة اللسان وسب الناس وتحذير من يفعل ذلك بعدم الإيمان، والدعاء لمن أسدى معروفا لشكره على حسن فعاله ومكافأته بقدر الإمكان.....)

وأشير أخيراً إلى قوله ﷻ (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾) سورة آل عمران/١٥٩

فهذه الآية تنبيه بصفة خاصة للمسلمين بأن يكونوا حسني التعامل بالقول والفعل مع الغير، لأن نص الآية لا يشير إلى أن الرسول كان يعامل أصحابه بالصفات التي وردت بالآية، ولكن سياق الآية يؤكد أنه تنبيه للمسلمين بعدم معاملة الغير بخشونة وقسوة لأن ذلك يؤدي إلى حدوث جفوة بين الطرفين، مما يجعلنا نحرص على أن تكون الكلمة الطيبة هي التي تسود بيننا وبين الغير حتى تستمر الأخوة والألفة والمحبة بين الجميع.

كما تشير الآية إلى استحباب العفو عن الغير والتسامح معه باعتباره من الصفات الحسنة التي يجب أن تسود بين الأفراد في المجتمع.

فإخبار الغير الذي حدثت منه خطيئة، بالعفو والتسامح معه؛ كلمة طيبة يدعو إليها الله في محكم كتابه، وصفة طيبة أمر بها الرسول ﷺ أصحابه، وأمر الله بها رسوله ﷺ.

ولا يكفي أن يضمر الإنسان في نفسه العفو والتسامح مع الغير، بل يجب عليه أن يبلغ ذلك الشعور الطيب إلى المخطئ، حتى لا يتوجس خيفة، ويتوقع كل حين رد فعل سيئ من المجني عليه.

فكلمة العفو والتسامح تنهي الجفوة بين الطرفين، وتزيد من أواصر الأخوة والصداقة، وتجعل العلاقات تستمر طيبة هادئة خالية من المنازعات والخلافات.

ويؤكد الله العفو والصفح والتسامح في كثير من الآيات القرآنية مبينا أن ذلك من شيم الأتقياء، منها؛ قوله تعالى:

- ﴿.. فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٩﴾ سورة البقرة/١٠٩

- ﴿.. وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٧﴾ سورة البقرة/٢٣٧

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال:

(أفضل المؤمنين رجل سَمْحُ البيع، سمح الشراء، سمح القضاء، سمح الاقتضاء)[1].

ومن الأمثلة التطبيقية من حياة النبي ﷺ في الحلم والعفو والتسامح ما روى عن أبي هريرة أنه قال: إن رجلا أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهم به أصحابه فقال رسول الله ﷺ

" دعوه فإن لصاحب الحق مقالا " ثم قال " أعطوه سنا مثل سنه " قالوا: يا رسول الله إلا مثل سنه، فقال: أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاء " وقد روى أن هذا الرجل كان يهوديا، وكان قد قرأ في التوراة أن النبي المنتظر يتصف بالحلم، فأغلظ في القول حتى يتأكد من ذلك، وأن الرجل تأثر بما رآه من حسن حلم الرسول ﷺ وتأكد من اتصافه بالحلم مثلما ورد بالتوراة ونطق بعد ذلك بالشهادتين.

وبذلك يتضح تأثير الكلمة الطيبة والتسامح على الغير، فتؤثر فيه تأثيراً طيبا، مما يزيد من أواصر الأخوة والصداقة، ويعمل على استمرار الألفة والمودة، لذلك يأمرنا الرسول ﷺ بأن نخبر أحباءنا وأصدقاءنا بحبنا لهم؛ لأن التعبير عن الشعور الطيب وإخبار الغير به مطلوب، لأن الشعور النفسي داخلي قد لا يشعر به الصديق أو الآباء، أو الأبناء، أو الزوج والزوجة، فالتعبير عن الشعور الداخلي وإخبار الغير به، أمر طيب يؤكد المشاعر الطيبة بين الطرفين، وقد وردت عدة أحاديث نبوية تؤكد ذلك منها:

- عن أنس ﷺ قال[2]: (مر بالنبي ﷺ رجل فقال رجل: إني لأحبه في الله ﷻ فقال النبي ﷺ: أأعلمته ؟ قال:

(١) رواه الهيثمي في المجمع (٤/٧٥) وقال رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٢) فهرس مستدرك الحاكم – كتاب البر والصلة (٧٣٢١).

لا. قال: فأعلمه. قال: فلقيت الرجل فأعلمته. فقال: أحبك الله الذي أحببتني له).

- عن المقدام بن معدى كرب ﷺ عن النبي ﷺ قال[1]: (إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه)

وهكذا نتعلم من الرسول ﷺ حسن معاملة الغير لتزداد الأخوة والصداقة بيننا وبينه، وندعو الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا ويزيدنا علما، وأن ينتشر السلام والمحبة بين الناس جميعا، ليرفرف السلام على الناس جميعا وفي المجتمع، بل وفي العالم أجمع، إذا التزموا بما جاء به دين الإسلام الحنيف، وبما أمر به الله ﷻ في القرآن الكريم، وما أرشدنا إليه الرسول ﷺ في أحاديثه القولية والفعلية.

وجوب التسامح والإخاء الإنساني في الحياة الزوجية:

يرتبط الزوجان برباط مقدس، أساسه حسن العشرة والمودة والرحمة، ليستمر الزواج طوال حياتهما، وليكون سبباً لولادة الأبناء والأحفاد، ليكونوا نواة لأسر جديدة، تزيد المجتمع قوة وازدهاراً.

ومن الطبيعي أن يكون التقاء الزوجين مع بعضهما، أكثر من تواجدهما مع باقي الأقارب والأصدقاء، لأنهما في بيت واحد، ومعيشة واحدة أثناء تناول الطعام والنوم والراحة والنزهة إلى غير ذلك من مقتضيات الحياة، التي من الطبيعي أن يتعاون كل منهما مع الآخر على مواجهتها، والسير في دروبها.

لذلك من الواجب أن يتعامل كل من الزوجين مع الطرف الآخر بإخاء ومحبة وتسامح إنساني عما قد يصدر من أخطاء أو تهاون في حقوق الطرف الآخر.

والخطوة الأولى لذلك، هي معرفة كل منهما لحقوق الطرف الآخر وواجباته التي فرضها عليه الشرع الإسلامي الحنيف، حتى لا يقصر في أدائها، وقد يؤدي ذلك إلى بذر أسباب الشقاق والخلاف بينهما.

ونشير فيما يلي إلى حقوق الزوج على زوجته ثم إلى حقوق الزوجة على زوجها فيما يلي:

١- حقوق الزوج على زوجته:

وردت أحاديث نبوية عديدة تؤكد على ذلك منها:

- **عن ابن عباس عن النبي ﷺ، قال[2]: " ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرا: رجل أم قوما وهم له**

(١) المرجع السابق (٧٣٢٢).

(٢) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وحسنه.

كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصرمان (أي:متخاصمان) ".

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ[1] : " إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت "
- عن عائشة رضي الله عنها، قالت[2] : " سألت رسول الله ﷺ: أي الناس أعظم حقا على المرأة؟ قال زوجها، قلت فأي الناس أعظم حقا على الرجل ؟ قال: أمه "
- عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل النبي ﷺ: أي النساء خير فقال: " خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسك "[3] .

ونكتفي بالأحاديث النبوية التي أشرنا إليها، ولمن يطلب المزيد يجد الكثير منها في الكتب الصحيحة للسنن النبوية الشريفة، وهي تدعو الزوجين إلى أن تكون الحياة الزوجية بينهما تحمل معاني المودة والرحمة والسكينة، حتى تستمر العلاقة الزوجية، تلازمها المعاشرة الطيبة فينشأ الأولاد في هدوء نفسي واستقرار في الحياة.

ونظراً لأن الزوجين عند مواجهتهما لكثير من أمور الحياة، قد تختلف وجهة نظرهما أحيانا في بعض الأمور، فمن الطبيعي أن ينفذ أحد الرأيين، ما دام لا يتضمن معصية لله ﷻ

" ولعل أول الواجبات على المرأة نحو زوجها طاعته فيما ليس بمعصية، ولا مفضيا إلي مضرة، فإنه لا ضرر ولا ضرار، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وطاعة المرأة لزوجها في هذا الإطار، أمر له كبير الأثر في صفاء الجو العائلي، ولهذا عظم ثواب الزوجة المطيعة، حتى ساوى أمر المجاهد في سبيل الله.[4]

وأكد أبو الأعلى المودودى أيضا على طاعة الزوجة لزوجها، وذكر أنه " لا يستثنى من هذا الحكم العام الصادر

(١) رواه ابن حبان – كتاب النكاح – باب تعظيم الله عز وجل حق الزوج على زوجته – رقم ٤١٦٣.

(٢) رواه البزار والحاكم وإسناد البزار حسن.

(٣) مستدرك الحاكم – كتاب النكاح – رقم ٢٦٨٢.

(٤) حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها ص٥٢، ص ٥٣.

للزوجة بطاعة زوجها إلا إذا طلب منها ما فيه معصية لله ﷻ، فلها حينئذ أن ترفض طلبه، بل يجب عليها أن ترفضه فمثلا إذا منعها من الصلاة أو الصوم أو أمرها بشرب الخمر أو ترك الحجاب الشرعي، أو ارتكاب الفواحش فلا يجوز فقط للزوجة أن تخالف هذا الأمر، بل فرض عليها أن تعصيه إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وكل ما عدا هذا فعلى الزوجة أن تطيع زوجها فيه، فإن لم تفعل كانت عاصية "

2- حقوق الزوجة على زوجها:

أشرنا فيما سبق إلى بعض من حقوق المرأة بصفة عامة، ونقتصر هنا على الحقوق التي تتعلق بحق الزوجة في حسن معاملتها وضرورة تسامحه في بعض الأمور البسيطة التي تشكل مخالفة لشرع الله ﷻ ومن ذلك:

١- أن معاملة الزوج لزوجته يجب أن تقوم على المودة والإخاء وحسن العشرة، وبخاصة أمام الأبناء أو الأقارب أو الغير بصفة عامة، لأن كثرة الشحناء بينهما تؤثر سلبياً ونفسياً على الأبناء، وتؤدي إلى نتائج سيئة على دراساتهم وعلى معاملتهم لزملائهم وأصدقائهم.

٢- حق المرأة في أن يعاشرها زوجها بالمعروف، فيحسن إليها ويعاملها معاملة طيبة فقال ﷺ: (استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء)[١] وعن أنس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ " يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك "[٢].

٣- مشاورة الزوجة في الرأي، وبخاصة في الأمور الخاصة بالأسرة فقد مدح القرآن الكريم من يقوم بالمشاورة؛ ليتبادل الرأي مع غيره؛ ليتوصل إلى الرأي الأرجح أو الأصوب بدلا من الوقوع في الخطأ، فقال تعالى في سورة الشورى: " وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ.. ﴿٣٨﴾"، وقال ﷺ: (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد)[٣].

(١) صحيح البخاري جـ٣ ص١٢١٢ رقم ٣١٥٣.

(٢) رواه الترمذي جـ٥ ص٥٩ رقم ٢٦٩٨.

(٣) المعجم الصغير جـ٢ ص١٧٥ رقم ٩٨٠، المعجم الأوسط جـ٦ ص٣٦٥ رقم ٦٦٢٧.

وكان ﷺ يستشير نساءه، وروت كتب الأحاديث أن أم سلمة رضي الله عنها أنقذت برأيها الصائب وفكرها السديد المسلمين من المحنة التي كادت تعصف ببعض صحابة رسول الله ﷺ، بعد إبرام معاهدة صلح مع المشركين بوقف القتال معهم فترة محدودة وأن من يهاجر من المكيين إلى المسلمين يتم رده، ولا يرد أهل مكة من هاجر إليهم من المسلمين وعندما أمر الرسول ﷺ الصحابة أن يعودوا إلى المدينة ويتحللوا من إحرامهم، لم يبادروا إلى التنفيذ، وعندما استشار الرسول ﷺ أم سلمة قالت له: اعذرهم يارسول الله فقد حملت نفسك أمراً عظيما في الصلح، ورجعوا دون فتح ولا حج، فهم لذلك مكروبون، والرأي؛ أن تخرج ولا تلوى على أحد، فتبدأ بما تريد، فإذا رأوك فعلت تبعوك وعلموا أن الأمر حتم لا هوادة فيه وهم مؤمنون بك، محبوك، مضحون فيك، فسر النبي ﷺ وانشرح صدره، واطمأن إلى صواب الفكرة وصواب الرأي، ونفذ ما أشارت إليه وقام إلى هديه فنحره، ودعا بالحلاق فحلق رأسه وعندما رأى المسلمون ذلك قاموا فنحروا وحلقوا "[1].

ومن دواعي العشرة الحسنة أن يعامل الرجل زوجته معاملة حسنة ويمازحها ويداعبها ويمرح معها في لهو بريء، وقد روت كتب الحديث أن الرسول ﷺ كان يسابق السيدة عائشة فسبقها، ثم عندما كبرت سنه سبقته فقال لها ﷺ (هذه بتلك)[2].

٤- للزوجة من الحقوق الزوجية مثل ما للزوج عليهن، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾سورة البقرة/٢٢٨

قال ابن عباس: (" إني لأتزين لامرأتي "[3] قال العلماء: أما زينة الرجال فعلى تفاوت أحوالهم، فربما كانت زينة تليق في وقت ولا تليق في وقت، وزينة تليق بالشباب، وزينة تليق بالشيوخ ولا تليق بالشباب، فإنما يعمل اللائق والوفاق ليكون عند امرأته في زينة تسرها ويعفها عن غيره من الرجال.. ثم عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجال فيعفها ويغنيها عن التطلع إلى غيره، وإن رأى الرجلُ من نفسه عجزاً عن إقامة حقها في مضجعها أخذ من

(١) بتصرف من: مكانة المرأة في الإسلام د. محمد عبد الحميد أبو زيد صـ ٦٣، ٦٤.

(٢) سنن أبي داود برقم ٢٥٧٨.

(٣) بتصرف من الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٢٤.

الأدوية التي تزيد في باهه وتُقوي شهوته حتى يعفها).

فإعطاء كل طرف للطرف الآخر حقه الذي كفله له الشرع الإسلامي الحنيف يزيد من أواصر الألفة والأخوة والمحبة بينهما، والرجل بما حباه الله من فطرة القيادة، عليه أن يحسن التصرف وأن يتجنب الضغينة والشر والقسوة، ولا يستبد ولا يتعنت في استعمال سلطته وقوته، كما يجب على الزوجين أن يتمتعا بالتسامح فيما بينهما، وإن وجدا عيباً ما في تصرفات أحدهما، فيجب أن يستحضرا المميزات والجوانب الحسنة الأخرى التي حدثت قبل ذلك فالمسامحة والإعراض عن الهفوات وترك تتبع العثرات تُفضي إلى استمرار المحبة والأخوة بين الزوجين، وتؤدي إلى سعادتهما، وحسن أدائهما لعبادتهما.

ملخـــص

التسامح والإخـــاء الإنساني في الإسلام

تمتاز الشريعة الإسلامية بأنها نظمت علاقات المسلم بربه وبنفسه وبغيره، وقد جاءت بشريعة متكاملة، لإصلاح الناس في دنياهم وأخراهم، ويعني هذا البحث بتناول جانب واحد من جوانب عظمة الإسلام، وهو " كيفية تعامل المسلم مع غيره من الناس ".

وسنتكلم أولا عن الإخاء الإنساني باعتبار أن الشعور بأهمية ذلك، يجعل المرء يتسامح مع الغير ويحسن معاملته.

الباب الأول: الإخـــاء الإنساني:

الإخاء لغة يشمل الأخوة في النسب وكذلك الصديق والصاحب ويشمل أخوة الإسلام والإيمان وكذلك الإخاء الإنساني لكل البشر، وقد جاءت آيات في القرآن الكريم تشمل:

(أخوة النسب، وأخوة الدين، وأخوة القبيلة، وأخوة المودة والمحبة، وأخوة الصحبة).

كما وردت أحاديث نبوية تؤكد المعاني السابقة.

- العبادات تؤكد الإخاء الإنساني فالصلاة بما فيها من اصطفاف المصلين جميعا في صف واحد رغم اختلافهم الغني بجانب الفقير والأمير بجانب الخفير، والشريف بجانب الوضيع وكذلك في باقي الفرائض من صيام أو زكاة أو حج، يتمثل فيها الإخاء الإنساني بأسمى معانيه.
- الإخاء الإنساني يقتضي أن يحرص كل إنسان على أن يقدم الموعظة الحسنة للغير لتحقيق الخير لهم، من واقع أنه يحب للغير ما يحبه لنفسه.
- حسن العشرة والأدب والألفة مع الناس، تزيد من الترابط الأخوي والأسري والتماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع.
- الحرص على تعليم الأخلاق الطيبة في البيت وفي المدرسة وبخاصة حب التسامح والعفو والتعامل مع الغير بإخاء ومحبة، يؤدي إلى غرس الخصال الطيبة في الطفل منذ صغره، وينمو ذلك معه عندما يكبر.
- التواضع صفة كريمة رفيعة، تؤدي إلى نماء الأخوة بين الناس، والتكبر تشبه بالشيطان يؤدي إلى العداوة والبغضاء والخصام.

- المحافظة على نصيب الورثة، يؤدي إلى استمرار علاقات الأخوة وصلة الرحم بين أفراد الأسرة الواحدة، ويمنع الشقاق والخلاف بينهم، فضلا عن أنه طاعة لله ﷻ ولرسوله الكريم ﷺ.
- حسن معاملة الغير، تأكيد للأخوة الإنسانية ويقتضي ذلك:

١- الأمانة في التعامل مع الغير، باعتبار أن الأمانة خلق كريم، يتمثل في الحرص على إعطاء الحقوق لأصحابها وهي فريضة عظيمة حملها الإنسان وتعهد بها أمام ربه ﷻ، ويقتضي ذلك:

أ- المحافظة على الودائع والحرص على أدائها لأصحابها.

ب- الأمانة في المعاملات مع الغير.

ج- الحرص على المسارعة لقضاء الدين للدائن.

د- الصدق في الكلام مع الغير.

هـ- حفظ أسرار الغير وعدم إفشائها.

٢- الوصية بالجار خلق حسن يعمل على راحة الجار والوفاء بمتطلباته وعدم إزعاجه بالأصوات العالية أو الروائح الكريهة وعدم إيذائه والإحسان إليه، إلى غير ذلك من الوصايا الطيبة التي أمرنا بها الرسول ﷺ

٣- إفشاء السلام سنّة مرغب فيها ورده فريضة، ويؤدي إلى المحبة بين الملتقـــيين كما بشرنا رسول الله ﷺ.

٤- قبول الهدية والإثابة عليها، من الأمور التي أرشدنا إليها الرسول الأمين ﷺ، فهو يؤدي إلى المحبة الأخوية بين المتهاديين، ويا حبذا لو انتشرت بين الأقارب والأصدقاء والجيران وبخاصة أفراد الأسرة الواحدة بين الزوجين والأولاد والوالدين وغيرهم من الأقارب.

٥- المجادلة بالتي هي أحسن، وبطريقة تبتعد عن المخاشنة والتعنيف، تؤدي إلى إقناع الطرف الآخر، وتحافظ على علاقات الأخوة الإنسانية بين المتجادلين، ويكفي أن القرآن الكريم يدعو الرسول ﷺ أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وأن تكون المجادلة بالتي هي أحسن، ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في ذلك وفي كل أعماله وأفعاله وأقواله.

٦- تدعو شريعة الإسلام أبناء الوطن الواحد أن يكون تعاملهم مع بعض بالأخوة الإنسانية أي بالصدق والأمانة والعفو والرحمة والتسامح والرفق والعدل، فبذلك ينتشر السلام بين جميع أفراد المجتمع وتزول العداوات والبغضاء، وتتحقق عوامل النجاح بالوطن، في كافة المجالات الاقتصادية والعلمية والخُلُقية وغيرها

من مجالات العلوم والمعرفة والتقدم.

٧- الإخاء الإنساني بين أفراد المجتمع يقتضي أن يتعاون كل منهم مع الآخر، ولا يستبعد ذلك، لمجرد الاختلاف في الدين، ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، في استعانته بغير المسلمين في مهام بعضها جسيم وخطير، لكنه آنس منهم الخبرة والأمانة فاستعان بهم، ليعلمنا الاقتداء به ﷺ، في هذا المجال.

٨- الأكل من طعام أهل الكتاب، أجازته الشريعة الإسلامية ليساعد ذلك على اجتماع المسلمين وغير المسلمين على طعام واحد فلا يجد المسلم حرجا في أن يقبل دعوة غير المسلم له، لأكل الطعام في بيته، أو يقوم بدعوة غير المسلم إلى وليمة ليأكل في منزله، حتى يساعد ذلك على زيادة عوامل الألفة بين الطرفين ولا يجد المسلم مانعا لديه من أن يأكل من طعام غير المسلمين، وكذلك أن يأكل غير المسلم من طعامه رغم أنه لا يدين بدين الإسلام، ولا بالنبي محمد ﷺ، غير أنه يشترط على المسلم ألا يأكل من لحم الخنزير وكذلك لا يأكل أي محرمات ولا يشرب أي مسكرات أو مخدرات لأن كل ذلك حرام لا يجوز أكله أو الشرب منه قليلا كان أم كثيراً

٩- المحافظة على مصالح الذميين في الوطن، من الأمور المتفق عليها بين جمهور الفقهاء، فالمقاصد العامة التي يجب المحافظة عليها وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، هي من الأمور الضرورية التي تتم المحافظة عليها لجميع مواطني الدولة بصرف النظر عن انتماءاتهم فالعقوبة تسري على الجاني، لو سرق مالا للذمي، أو اعتدى على عرضه بالزنا، أو بأي نوع من الاعتداء، بل إن الإسلام منح حقوقا لغير المسلمين تزيد على ما منحه للمسلمين، فأجاز لهم التعامل والانتفاع بالخمر والخنزير، وهي أموال ضمنها لهم، ومنع الاعتداء عليها بأي شكل من الأشكال، رغم تحريمها على المسلمين أكلا وشربا وتعاملا بكافة أنواعه.

- كفل الإسلام للمرأة حقوقا متساوية مع الرجل، ولم يختصها بمعاملة أدنى أو حقوقا أقل ولم يكلفها بواجبات ترهقها، أو تمس أنوثتها أو يعرضها لمخاطر أو مواقف تسيء إليها ومن ذلك:

١- نهى نهياً مطلقا عن وأد البنات الذي كان منتشراً في الجاهلية، وبدأت تلجأ إليه بعض البلدان غير الإسلامية التي تعاني من تضخم هائل في عدد السكان.

٢- شجع على الزواج من الفقيرات.

٣- ساوى بين الرجل والمرأة في الإنسانية.

٤- ساوى بين الرجل والمرأة في الجزاء على العمل بالثواب والعقاب.

٥- أهلية المرأة للتملك والميراث بما يتناسب مع مسئولياتها المالية.

٦- لم يحملها مسئولية القوامة في الأسرة مراعاة لضعفها وصونا لها عن مواجهة صعاب الحياة.

٧- لها الحق في اختيار زوجها، وفي الخلع إذا لم تستطع الاستمرار في الحياة الزوجية.

٨- فرض للزوجة المهر وحذر الزوج من أن يأخذ منه شيئا إلا بموافقتها.

٩- حق المرأة أن يعاشرها زوجها بالمعروف ومعاملتها بالحسنى.

١٠- مشاورة الزوجة في الرأي.

- الأخوة الإنسانية تدعو إلى خُلُقِ الرحمة بالإنسان والحيوان بل والجماد، ومن ضلت عقيدته، يحتاج أكثر من غيره إلى تقويم اعوجاج سلوكه بالرحمة به، وتوجيه النصيحة إليه بالحجة والبرهان الصحيح واللين في المعاملة حتى لا نعين عليه الشيطان، فيتمسك بالخطأ وينحرف عن طريق الصراط المستقيم.
- الإخاء الإنساني أساس الحضارة الإسلامية، التي تقوم على أن النفس الإنسانية هي من نفس واحدة وخالق واحد، فلا تمييز لشخص على آخر بسبب اللون أو الجنس أو الحسب أو النسب، والإسلام يؤكد مساواة جميع الناس في القيمة الإنسانية المشتركة، وأن الله ﷻ خلق الإنسان: الذكر والأنثى والأبيض والأحمر والأسود، وخلق الشعوب والقبائل دون تفاضل بينها، وأن الكرامة والتشريف التي منحها الله لبني آدم لم يمنحها لفئة دون أخرى، بل منحها للجميع، ولم يجعلهم جنسيات متعددة إلا للتعارف لا للتفاضل.
- الإخاء الإنساني يدعو إلى التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع، للعمل معا على تحسين أحوال الفقراء والمساكين بالزكاة والصدقات وإصلاح أحوال المجتمع بكافة فئاته، والاهتمام بالمرضى والمحتاجين وكبار السن والأرامل، والعمل على إذابة الفوارق المادية بين الناس، والتقريب بين الطبقات المختلفة، بما لا يخدش حياء الفقير، ولا يهان به كرامة المحتاج.
- الإخاء الإنساني يقتضي عدم الاعتداء على الغير أو الإضرار به أو ظلمه أو خيانته، وإذا كان القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، تدعو المسلمين إلى التمسك بعناصر القوة؛ لأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وتدعو إلى نبذ الضعف والاستكانة، لأن الدولة الضعيفة تغري الدول الظالمة، بالاعتداء عليها - ظلما وعدوانا - أو الاستيلاء على ثرواتها وخيراتها واستباحة أراضيها، أما الأخذ بأسباب القوة فإنه سيردع الغير ويمنعه

من الإقدام على الاعتداء خوفا مما قد يصيبه من أضرار أكبر وأفدح، وبذلك يعيش المسلمون في أمن وأمان وسلام، بعدم اعتدائهم على الغير وعدم اعتداء الغير عليهم.

- الإخاء الإنساني يقتضي عدم الاعتداء على ملكية الغير، حيث كفل الإسلام المحافظة على ملكية كل الأفراد، ويعاقب كل من يعتدي عليها، أو يحاول الاستيلاء عليها، فيحق لكل شخص تملك ما يحتاجه من منقولات وعقارات، بل إن بعض ما يمتلكه غير المسلم قد يكون حراما تملكه للمسلم، إلا أن الإسلام يحافظ على هذه الممتلكات له ويمنع من الاعتداء عليها أو إتلافها كالخمر والخنزير، لأنها حلال في معتقداته، ويوجب العقاب على غاصبها لإقدامه على محظور، ويلزمه تعويض الذمي إن أتلف مالا له.
- نهى الإسلام عن الاعتداء على الغير وعن الفساد والظلم والخيانة، وذلك بدعوة الناس جميعا للتعاون في جميع وجوه الخير، وينهاهم عن كافة الآثام والعدوان على الغير أو التعاون مع المعتدي؛ لأن عدم التعاون معه قد يمنعه من الشروع في الاعتداء، أو تجعله يراجع نفسه وينتهي عن الشر والفساد، وهذه المبادئ الحسنة تنطلق من تكريس مبدأ الأخوة الإنسانية التي يجب أن يتعامل بها المسلم مع غيره من الناس فلا يعمل على ضررهم ولا يساعد على ذلك، حتى لو اختلف معهم في العقيدة أو الرأي.
- النهي عن الغدر خُلق حسن أوصى به الرسول ﷺ وحذر الغادر من مغبة سوء العاقبة يوم القيامة، وبخاصة أن الغدر يتمثل في اعتداء على شخص آمن من الاعتداء ولا يتوقعه.

الباب الثاني: التسامح

التسامح هو حسن معاملة الغير وعدم مؤاخذته إن صدر منه ما يغضب، والتماس العذر له.

وقد وردت آيات قرآنية عديدة تأمر بالعفو والصفح والتسامح وأن من يفعل ذلك يكون أقرب للتقوى من غيره الذي لا يتمتع بهذه الصفات الطيبة، ويخبرنا الله أن المخالفة في العقيدة أو الرأي هي من سنن الله في الكون، ولو شاء الله لآمن من في الأرض كلهم جميعا، ولكن تلك إرادة الله، التي يجب أن نتعامل معها، بحسن التعامل مع الآخر والتسامح معه، حتى تتكون قناعته بخطئه وأن الصواب في الرأي الآخر الذي كان يعانده ويخالفه.

وسنن النبي ﷺ القولية والفعلية والتقريرية تؤكد ما أوردناه من معان، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين والحكماء، الذين يؤكدون على أهمية التسامح باعتباره من خلق العاقل الكريم، بل يحرصون على الوصية أيضا بأهل الذمة، حتى لا يكون اختلافهم في العقيدة سببا لسوء معاملتهم أو حرمانهم من بعض حقوقهم.

والأساس الفكري للتسامح في الإسلام يستند إلى المبادئ التالية:

١- كرامة الإنسان أيا كانت عقيدته أو جنسه أو لونه.

٢- أن اختلاف الناس في الدين وفي اعتقاداتهم واقع بمشيئة الله، الذي خلق الناس وجعل لهم إرادة في اختيار الصراط المستقيم أو السير في طريق الضلال والخسران.

٣- أن المسلم ليس مكلفا بمحاسبة المخالفين على ضلال اعتقاداتهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله يوم الحساب.

٤- إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل ويحب القسط، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين، ولو كان الظلم من مسلم لكافر.

وللتسامح فوائد عديدة لا حصر لها يجنيها المتسامح من حب الله ورسوله ﷺ، ومن الثمرات الطيبة التي تنتج عن معاملته الطيبة للناس من أهله ومجتمعه وممن يتعامل معهم، وطمأنينة النفس والشعور بالراحة والأمن.

الإخاء الإنساني والتسامح يقتضي احترام الرأي الآخر وعدم تسفيهه، حتى ولو لم يتفق تماما معه، عملا بالحكمة القائلة (الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية).

فالإنسان إذا كان يغفر لأحبابه أو لأولاده، ما قد يحدث منهم من تصرفات واختلافهم معه في الرأي، فعليه ألا يجعل خلافه في الرأي مع الآخرين، سببا للخلاف والشقاق، بل يتسامح معهم ويعتبرهم أخوة له في الإنسانية وشركاء له في المجتمع والوطن.

٥- العفو والتسامح مع الغير من شيم الكرماء، وهو خلق طيب، ينبغي أن يتصف به كل حريص على طاعة الله ﷻ وطاعة الرسول ﷺ، والمتتبع للعديد من الروايات التي وردت في كتب السيرة يجد أن الرسول ﷺ، قد بلغ القمة في حسن الخُلق ومن بينها تعدد عفوه وتسامحه مع صناديد قريش الذين أساءوا إليه وإلى المسلمين أبلغ إساءة، بل ولبعض المشركين الذين تطاولوا عليه وأساءوا إليه بالقول، ولكنه نهى الصحابة عن التعرض لهم، وقد تأثر بعض المشركين من هذا التصرف النبيل، وكان سببا في إسلامهم.

بل إن الرسول ﷺ قد تسامح مع الأسرى، رغم أنهم كانوا يقاتلونه وكانوا يرغبون في قتله والقضاء على دعوته في مهدها، ولكن عندما نصره الله عليهم، أمر المسلمين بحسن معاملتهم، بل وقَبِل الفدية وأطلق

سراحهم رغم أن بعض الصحابة منهم عمر بن الخطاب ﷺ كانوا يحبذون قتلهم حتى لا يعودوا إلى قتال المسلمين، ويزيدوا من قوة المشركين.

ويتمثل العفو في أقصى حالاته، عندما دخل الرسول ﷺ مكة، وأصبح لديه القدرة على القضاء على كل من آذى المسلمين، لكنه أطلق العفو العام عن الجميع، ما عدا عدد محدود من المشركين، ولم يكن هذا الاستثناء لحقد منه أو غضب شخصي، فهو لم يكن يتعامل مع الغير بذلك الأسلوب، بل لأن هؤلاء الأشخاص ارتكبوا جرائم كبرى، وعندما فر هؤلاء، لم يتعقبهم، وبعد أن هدأت الأمور وطمع بعض الصحابة في أن يستشفعوا لهم، فطلبوا منه ﷺ ذلك، فاستجاب لهم وعفا عن أكثرهم.

٦- الرفق بالغير صفة من الصفات الطيبة التي تنم عن أخلاق سامية وقلب طيب ينبض بحب الغير، ويحاول أن يساعده بقدر الإمكان ويحسن إليه في كافة تعاملاته معه، فلا يعتدي عليه أو يسيء إليه، أي أنه يتعامل معه برفق ومحبة وتسامح.

٧- التسامح مع الأعداء يقتضي عدم الاعتداء على المدنيين أثناء الحرب بل وما قبلها وما بعدها؛ لأن المدنيين وبخاصة النساء والصبيان والرهبان والشيوخ ليس لهم دور ايجابي في الاعتداء على المسلمين، وقد وردت أحاديث نبوية عديدة تأمر بذلك، وهكذا كان يأمر الصحابة والتابعون من بعدهم.

٨- ومن الوصايا التي تعني -بطريق غير مباشر- بالتسامح مع أهل الكتاب - وبخاصة النصارى - ما ورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية من حسن معاملة الذميين والنصارى، في مناسبات متعددة وبأساليب مختلفة، منها؛ أنهم أقرب مودة للذين آمنوا من اليهود والمشركين، ومنهم الذي يتصف بالأمانة، حتى لو ائتمنته على قنطار فإنه سيحافظ عليه حتى يؤديه لصاحبه.

٩- ومما يوجب التسامح مع الناس، أن الله كرم الإنسان ودعا إلى الحفاظ على حقوقه وحقوق الأقليات في المجتمع الإنساني، فقد كرم الله بني آدم على كثير من خلقه، وسخر له الأرض بما فيها من حيوانات وثمرات وبحار وجبال وسخر له الشمس والقمر والنجوم، بما يحقق فوائد عديدة ليلا ونهاراً صيفا وشتاء، فيجب علينا أن نتسامح مع الناس وألا نحرمهم مما وهبه الله لهم من خيرات.

١٠- التسامح مع الذميين رغم اختلافهم معنا في العقيدة، يقتضي الحفاظ على الأمور الضرورية التي تمثل المقاصد العامة التي يجب المحافظة عليها لجميع الناس هي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال.. فلهم حرية اختيار

عقيدهم وممارسة شعائر دينهم، ولا يجوز إكراههم على ترك عقيدهم واعتناق الإسلام.. كما حافظ الإسلام على نفس غير المسلم ومنع الاعتداء عليه وجعل عقوبة الاعتداء عليه كعقوبة الاعتداء على المسلم.

وحرم الإسلام كل المأكولات أو المشروبات التي تؤثر على صحة الإنسان وعلى عقله كلحم الخنزير وشرب كل المسكرات والمخدرات التي تُذهب بالعقول، إلا أنه لم يعاقب غير المسلم على تناول المسكرات أو لحم الخنزير لاعتقاده بعدم حرمتها، وتركه ليقرر بنفسه، ما فيه مصلحته وبخاصة عند معرفة الاكتشافات العلمية الحديثة التي أكدت الأضرار الصحية العديدة التي يُصاب بها آكل لحم الخنزير، وكذلك مشاهدة ما تفعله الخمر بعقول شاربيها.

١١- مثالان يدلان على حلم الرسول ﷺ وعفوه ورحمته وبعد نظره في تعامله مع المشركين والمنافقين وآثار ذلك:

(أ) **سهيل بن عمرو:**

بعد بعثة الرسول ﷺ لم يستجب سهيل لدعوة الإسلام واستمر على الشرك وكان متكلما جيداً يؤثر في الناس ببلاغته وحسن أسلوبه وكان يحذر الناس من الإيمان به ﷺ ويصفه بصفات قبيحة، واستمر الحال كذلك إلى أن وقع سهيل أسيراً لدى المسلمين في غزوة بدر الكبرى، فلم يختصه الرسول ﷺ بأي سوء في المعاملة بل كانت الوصية خيراً للجميع.

وبعد أن اعترضت قريش على دخول الرسول ﷺ والمسلمين، لمكة، وأوفدت قريش سهيل بن عمرو ممثلا لهم، تشدد مع الرسول ورفض أن يكتب في العهد بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله.

وعندما عاد الرسول ﷺ في العام التالي وأدى العمرة هو والمسلمون، مكثوا ثلاثة أيام حسب العهد السابق، وعندما أراد الرسول ﷺ أن يمكث مدة أخرى، رفض سهيل بن عمرو وقال له " اخرج عنا".

واستمرت عداوة سهيل بن عمر للإسلام والمسلمين حتى بعد دخول المسلمين مكة، واستسلام معظم أهلها إلا أنه صمم على مقاومة ومحاربة المسلمين ثم عاد واستسلم بعد ذلك.

وبعد إسلام سهيل بن عمرو، ووفاة الرسول ﷺ ارتد بعض المسلمين، وقف خطيبا للناس وأقنع كثيراً منهم بالثبات والاستمرار في الإسلام بما أوتى من قوة في الإقناع وحجة في الخطابة حتى عاد الآلاف منهم إلى الإسلام اقتناعا بما قاله لهم سهيل وهكذا كسب الإسلام مسلما نافعا نتيجة حلم الرسول ﷺ وعفوه

واستمراره في معاملة أحد المشركين بالحسنى سنوات طويلة.

(ب) **عبد الله بن أبي بن سلول:**

كان من المنافقين وكانت له مواقف عديدة ضد المسلمين، وكان الرسول ﷺ يعرف حقيقته كاملة وكان يقول:

(لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس أو أكشف عن أسرارهم)، ولما توفى عبد الله بن أبي بن سلول، صلى عليه الرسول ﷺ رغم اعتراض عمر بن الخطاب ﷺ، وأعطى ابنه عبد الله قميصه لكفنه فيه.

وتوفى الرسول ﷺ ولم يخبر الصحابة بأسماء المنافقين ستراً لهم، وأخبر فقط الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان حتى لا يصلي هو والمسلمون على المنافقين، تنفيذاً لأمر الله ﷻ.

الباب الثالث: التسامح والإخـــاء الإنساني:

هناك صفات لو تحلى بها الإنسان، تجعله يحرص على التسامح والإخـــاء الإنساني منها:

١- الرضا والقناعة بما قسمه الله، من أفضل النعم التي إن تمسك بها الإنسان شعر بالراحة والسعادة في الحياة الدنيا، وتدعوه إلى حب الآخرين والشعور بإخوتهم، وعدم النظر إليهم نظرة حسد أو بغضاء، أو تمنى لهم الحرمان من نعم الله التي أفاء الله عليهم بها، وتجعل المرء متسامحا مع الغير لرضاه بما وهبه الله، وكذلك رضاه بما وهبه الله للغير، فيعيش مستريح البال راضيا بقضاء وقدر الله ﷻ.

٢- القصاص والعفو يحافظان على التسامح والإخاء الإنساني:

لقد شرع الله القصاص من القاتل لكي يشفي غيظ أهل القتيل، وتنتهي الخصومة بين أهل القاتل وأهل القتيل، وأباح لأهل القتيل التنازل عن القصاص، بأخذ الدية من القاتل.

وآيات القرآن الكريم وأوامر الرسول ﷺ، كانت تحض أهل القتيل على العفو والتسامح وحث القاتل وأهله على أداء الدية من غير مماطلة حتى يعم الإخاء بين الأسرتين وتنقضي الخلافات بينهما.

٣- تأمر الشريعة الإسلامية كافة المسلمين أن يعيشوا في سلام مع نفوسهم ومع جيرانهم ومع أقربائهم، ومع كل المتعاملين معهم في بلادهم وفي جميع أنحاء المعمورة، فالإيمان يدعو إلى التسامح والإخاء الإنساني ويتحقق ذلك بكثير من الأمور منها:

- ذكر الله باسمه " السلام " بعد الصلاة في الدعاء المشهور عن الرسول ﷺ: "اللهم أنت السلام ومنك

السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ".

- إفشاء السلام بين الناس.
- التحلي بصفات الله ﷻ التي تدل على الكمال كالكريم والرحمن والرحيم والحكيم ومن هذه الأسماء التي وردت في القرآن الكريم اسم " السلام ﷻ"، وهو اسم شريف له معان طيبة يحتاجها الإنسان في حياته، فالسلام حالة من الأمن والأمان يطمع الإنسان أن يعيش في كنفها دائما، ففيها الراحة والسلام له ولكل من يتعامل معه. والاقتداء بـــ " السلام " ﷻ يقتضي أن يملأ المسلم قلبه بالسلام والأخوة والتسامح مع الناس، وينزع من نفسه كل الصفات السيئة التي تسئ إليه وإلى المتعاملين معه، ويتخذ التسامح والإخاء الإنساني منهجه في التعامل مع الغير فينتشر السلام بين الناس، ويتوفر الأمن والأمان لهم.

٤- الكلمة الطيبة تؤدي إلى التسامح والإخاء الإنساني فمخاطبة الناس بالحسنى يؤدي إلى زيادة المحبة والعلاقات الطيبة بينهم، ويأمرنا الله ﷻ بأن نحرص على الكلمة الطيبة وأن تقترن بالعمل الصالح حتى تتوافق الكلمة مع العمل مما يؤكدها ويجعلها صادقة، وتعبر تعبيراً صحيحاً عن نية صاحبها وتصبح الكلمة ليست مجرد حروف وأصوات تخرج من فمه، إنما تتحول إلى واقع عملي وتأثير فعلي يشاهده الغير، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ.. ﴿١٠﴾﴾ سورة فاطر/١٠

٥- وجوب التسامح والإخاء الإنساني في الحياة الزوجية، حيث يرتبط الزوجان برباط مقدس أساسه حسن العشرة والمودة والرحمة، ويجب أن يحرص كل منهما على إعطاء الطرف الآخر حقوقه التي كفلها لها الدين الإسلامي الحنيف، مما يزيد من أواصر الألفة والأخوة والمحبة بينهما، وأن يحرصا على التسامح فيما قد يحدث من الطرف الآخر، لأن التسامح والإعراض عن الهفوات وترك تتبع العثرات يؤدي إلى استمرار الحياة الزوجية والمحبة بينهما، وتؤدي إلى سعادتهما وحسن أدائهما لعبادتهما.

المصادر والمراجـــع

التفســـير:

- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة.
- التفسير الكبير – الفخر الرازي – دار الكتب العلمية – الطبعة الثانية- طهران.
- تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه.

السنة النبوية وشروحها:

- شرح صحيح البخاري – للكرماني – المطبعة المصرية – ١٩٣٣.
- صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية – مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- سنن أبي داود – مراجعة وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار إحياء السنة النبوية.
- سنن الترمذي – تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- سنن ابن ماجة- تعليق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث – مصطفى البابي الحلبي – ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م – القاهرة.
- الموطأ – الإمام مالك بن أنس – تعليق محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

الفقـــــه:

- الترغيب والترهيب – للمنذري – دار الحديث.
- المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي – محمد مصطفى شلبي- مطبعة دار التأليف – ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م.
- زاد المعاد في هدى خير العباد – لابن القيم الجوزيه – المطبعة المصرية.
- أصول الفقه الإسلامي – زكي الدين شعبان – مطبعة دار التأليف ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.
- العقوبة في الفقه الإسلامي – محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام – محمد بن إسماعيل الصنعاني – دار الحديث – ١٩٧٩م.
- الأموال – أبو عبيد القاسم بن سلام – مكتبة الكليات الأزهرية – ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

اللغـــــة:

- لسان العرب – ابن منظور – طبعة دار المعارف.
- مختار الصحاح – الرازي – مطابع الهيئة المصرية للكتاب – ١٩٧٦م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – الطبعة السادسة – المطبعة الأميرية ١٩٢٨م.

مراجـــع عامـــة:

- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ – إعداد مجموعة من المختصين – دار الوسيلة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م – جدة.
- المستطرف في كل فن مستظرف- شهاب الدين بن محمد بن أحمد الأشبيهي- تحقيق الدكتور مصطفى الذهبي- دار الحديث – ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى – القاضي عياض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- حياة محمد – محمد حسين هيكل – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٦٥م.
- مكانة المرأة في الإسلام – محمد عبد الحميد أبو زيد – دارة النهضة العربية – ١٩٧٩م.
- إتحاف الأنام بخطب الرسول ﷺ – محمد خليل الخطيب.
- شخصية المسلم كما يصورها القرآن – د. مصطفى عبد الواحد – الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- سيرة ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – لابن الجوزي – تحقيق وتعليق د. حمزة النشرتي – المكتبة القيمة – القاهرة.
- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي – د. يوسف القرضاوي – مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم – ابن تيمية – دار الحديث بالأزهر- ١٩٨٣م.
- الإسلام دين الفطرة – عبد العزيز جاويش.
- الأجوبة النافعة عن المسائل الواقعة – عبد الرحمن عبد الوهاب الفارس – مطبعة حكومة الكويت – ١٣٩١هـ ١٩٧١م.
- التعريف بالإسلام – عبد الرزاق نوفل – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.
- الأمن في الإسلام – د. أحمد عمر هاشم – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- الصديق أبو بكر – محمد حسين هيكل – دار المعارف – ١٩٧٩م.
- خطب الرسول ﷺ – جمعها وشرحها محمد خليل الخطيب – دار الفضيلة – ١٩٨٣م.
- نظرات إسلامية من ثمار الشيخ محمود شلتوت – ملحق بمجلة الأزهر – ١٤٢٢هـ.
- الفتاوى – كل ما يهم المسلم في حياته يومه وغده – محمد متولي الشعراوي – تقديم وتعليق د.السيد الجميلي – المكتبة التوفيقية – ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الإسلام – سعيد حوى.